دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان: الذرائعية كأداة تحليل للخطاب السياسي الأمريكي: دراسة في فلسفة السياسة

المصدر: مجلة الساتل

الناشر: جامعة مصراتة

المؤلف الرئيسي: العادي، سالم حسين رمضان

المجلد/العدد: س10, ع17

محكمة: نعم

التاريخ الميلادي: 2016

الشهر: ديسمبر

الصفحات: 87 - 110

رقم MD: 941715

نوع المحتوى: بحوث ومقالات

اللغة: Arabic

قواعد المعلومات: HumanIndex

مواضيع: الذرائعية، الفلسفة السياسية، الخطاب السياسي، الولايات المتحدة الأمريكية

رابط: http://search.mandumah.com/Record/941715

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الذرائعية كأداة تحليل للخطاب السياسي الأمريكي (دراسة في فلسفة السياسة)

د. سالم حسين رمضان العادي
كليـة الآداب - جامعـة الزاويـة

المقدمة:

البحث في الفكر السياسي الأمريكي لا بد أن يشكل أهمية كبيرة بالنسبة للمجتمع الإنساني، على الرغم من أن جذور هذا الفكر ليست بالبعيدة كما هو الحال في الفكر السياسي الأوروبي، إلا أنه استطاع أن يثبت جدارته في الساحة الفكرية العالمية بوصفه فكراً عالمياً، فقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية في القرن التاسع عشر في بداية وعيها، بإمكانيتها الثقافية بعد زمن الحرب الأهلية، حيث كان النشاط الفلسفي الأمريكي لحقبة طويلة من الزمن مجرد انعكاس للتأثيرات الأوروبية، ويستطيع الملاحظ المدقق في أبعاد الفكر السياسي في أوائل القرن التاسع عشر أن يلاحظ كما ذكر السياسي (توكفيل) من أن الفلسفة السياسية لم تنل حظها في أي قرن من قرون عالمنا المتحضر بالصورة الجدية كما نالته الفلسفة السياسية الأمريكية ومرد ذلك ربما يعود إلى أن هذه الفلسفة قد بدت على درجة كبيرة من الغموض والبعد عن اهتمامات دولة مازالت في طور النشأة.

فقد شهد القرن الثامن عشر دفعة قوية جاءت على يد فلاسفة التنوير الفرنسيين، كما شهد القرن التاسع عشر دفعة أخرى جاءت من الرومانسية الألمانية، إلاّ أن منتصف القرن التاسع عشر قد شهد انتعاشاً فلسفياً جاء رافضاً للتقاليد الأوروبية والأكاديمية السائدة، ففي غمرة هذا الانتعاش الفلسفي برز أول مذهب فلسفي فكري يمكن أن ينتسب إلى الأرض الجديدة، ألا وهو المذهب العملي (البراغماتي الذرائعي) ليتبلور خلال تطوره التاريخي بشكل فكر رسمي ساد القارة الأمريكية والعالم أجمع، ليصبح بعد ذلك الصياغة الحقيقية للفكر الأمريكي ولاسيما

فكرها السياسي والاقتصادي المعبر عن الثقافة الأمريكية المعاصرة، ليطلق عليه بعد ذلك بالفكر السياسي الرسمي خاصة بعد انتعاش الفكر الفلسفي أو العصر الذهبي التي عاشتها الفلسفة الأمريكية إبان تلك الفترة التي عاشتها الولايات المتحدة الأمريكية، ليكون بذلك من أهم الأسس التي انبنى عليها الفكر السياسي والاستراتيجي للولايات المتحدة وعاملاً مهماً في بناء الإمبراطورية الأمريكية لكون هذا الفكر يركز على المنفعة في الأفكار والنظريات مهما تكن هذه الأفكار إذ الغاية والنجاح هما الحكم والفيصل في قياس مدى أهمية الفكرة ونفعها والنتائج المتمخضة عنها، ليحتل بعد ذلك هذا الفكر السيطرة المطلقة على السياسة الأمريكية، لاسيما على الصعيد الخارجي وفي إطار العلاقات الدولية، ونتيجة لهذا، أصبح الفكر السياسي الأمريكي فكراً براغماتياً وهو في جوهره نهج محافظ يرى من حقه إتباع كل وسيلة ممكنة في سبيل الوصول إلى حقه في البقاء وأن المصلحة والمنفعة والذاتية هي معيار الصدق والأخلاق، وبهذا أصبح الفكر البراغماتي الترجمة السلوكية الحقيقية للفكر السياسي الأمريكي والسياسة الأمريكية المعاصرين.

ومن ثمة يمكننا القول أن الثقافة الأمريكية في جوهرها ذرائعي مطلق، ولذلك لم تكتف السياسة في الولايات المتحدة الأمريكية باتخاذ الذرائعية قاعدة استناد من بين القواعد الأخرى المتعارف عليها في العمل السياسي، بل اتخذتها عقيدة ثابتة، ولم يعكف سياسي أمريكي على تدوين تجربته السياسية إلا وتغنى في نفس الوقت بعظمة الولايات المتحدة الأمريكية، وبأن عظمتها متأسسة على أسس المنطق الذرائعي.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

تكمن أهمية دراسة الفكر البراغماتي أو الذرائعي من كونه يبحث في واحدة من الأفكار الرئيسية للفكر السياسي الليبرالي الأمريكي، الذي شكل منعرجاً خطيراً في رسم وصياغة الثقافة الأمريكية، وكذا الأطروحة الأمريكية المعاصرة، ليس على صعيد السياسة الداخلية فقط بل تعدى ذلك إلى السياسة الخارجية والعلاقات الدولية ورسم مصلحتها القومية العليا واستراتيجيتها، من كون الفكر الأمريكي قائم على مرتكزين اثنين هما (المادي والبراغماتي)

ومن كون الذرائعية(*) هي الفلسفة التي عبرت عن واقع المجتمع الأمريكي، وعن نجاح أفراده في التكيف مع البيئة الجديدة التي انتقلوا إليها منذ اكتشاف أمريكا ونزولهم إليها ومحاولة مواجهة كل الظروف الطبيعية الصعبة والتغلب عليها.

إن واقعية هذا الفكر المعاصر كانت من أسباب ودواعي اختيار الموضوع، ذلك محاولة منا إظهار الطريقة أو الكيفية التي وظفت فيها الولايات المتحدة هذا الفكر في سياستها المعاصرة لتحقيق المصلحة القومية وانفرادها في الصدارة العالمية من منطلق فلسفة الهيمنة والقوة الناعمة والدافع العقدي أو الديني.

منهجية البحث:

اقتضت المنهجية العلمية في هذا البحث الاعتماد على المنهج التاريخي والتحليلي التاريخي من أجل الإحاطة قدر الإمكان ببواطن تاريخ الذرائعية كفلسفة عملية شكلت جوهر الفكر السياسي الأمريكي، والتحليلي لفهم التوظيف الأيديولوجي لهذه الفلسفة في السياسة الأمريكية.

أولاً: فلسفة الهيمنة الأمريكية.

ليست أطروحة "أمريكا هي العالم، العالم هو أمريكا"(1) التي كان يقولها الرئيس الأمريكي الأسبق (ريتشارد نيكسون) في خطبه العصماء، وقد أخذ بها كل رؤوساء الولايات المتحـــدة منذ التأسيس إلى اليوم وبأشكال مختلفة، مجرد وسيلة إيديولوجية جزئية، ولو ذهبنا إلى عمق الأطروحة في الفكر الاستراتيجي الأمريكي، لوجدنا أنها هي الأيديولوجيا الاختزالية نفسها في حدها الأعلى، ذلك أن عالمية أمريكا هي قضية لاهوتية عقائدية من قبل أن تكون شأناً متعلقاً

* الذرائعية: من براكما وتعني ذرائعي وتعني فعل وخصوصاً شيء بكل معاني الشيئية، أي ما يتعلق بالشؤون أكانت سياسية أم دينية أم قضائية إذا ارتبطت بالكلام على البشر مثل: فاعل، ماهر، نافع، فعّال. ينظر: موسوعة لالاند الفلسفية، م 2، عويدات للنشر، لبنان، 2008، ص 1012.

1 –Richard. N. Rosecasce, The Rise of the Trading State, New York, Basis Books 1986, P50.

بالحاجة إلى التمدد الجيو – استراتيجي ذلك أن سلام أمريكا هو سلام العالم كله، وحربها هو حرب العالم كله[2].

ومن ثم تنهض أطروحة الفوضى في اللاشعور السياسي الأمريكي إلا على إزالة الاختلاف بين أمريكا والعالم، ثم على إعادة تشكيل هذا العالم على صورتها.

ومما هو ملاحظ من العلاقة التواصلية بين لحظة التأسيس والأزمنة المتعاقبة[3] أن شعور أمريكا بنفسها اليوم هو نفسه شعورها يوم وضع مؤسسوها الأوائل مهمتها العظمى قبل نحو خمسة قرون، ذلك أنها أمة مبعوثة للبشرية "لقد أوكل الرب إلينا مهاماً بقدر مما وهبنا من مواهب ولقد جعلنا سادة الحضارة حتى نتولى إدارتها"[4] هنا يمكن أن نلاحظ أن أمريكا تبدو ولا تزال في طور التأسيس من (إبراهام لينكولن) و(ترومان) الذي يقول "لقد خلقنا الرب ونصبنا في موقع السلطة والقوة التي ننعم بها الآن من أجل غرض عظيم"[5] إلى (جورج دبليو بوش) وحتى (أوباما) حالياً، فالكلمات التي ترسلها إلى العالم هي هي، وخطاب استعظام الذات هو نفسه، بل إن هذه النظرة يمكن تتبعها في فترات تاريخية أبعد (فكريستوفر كولمبس) عندما وجد أمريكا بعد رحلة طويلة وشاقة قطع فيها المحيط، كتب: "لقد جعلني الله رسولاً إلى الجنة الجديدة والأرض الجديدة التي ذكرها (أي الله) في سفر الرؤيا الذي كتبه القديس يوحنا.

---

2 –Kerseth Waltez, Globalization and American Power, The National Interest (SPring). P: 90.

3– فريد زكريا، من الثروة إلى القوة.. الجذور الفريدة للدور الأمريكي العالمي، ت: رضا خلفة، ط1، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1999، ص60.

4 –Albert J. Beveridge "for the garter Republic not for Imperialism: An address before the Union League Club of Philadelphia, February, 5, 1899, Excepted is Hudson, Nationalisms and Religion. P.P. 117.118".

5– والترأ. مدوجال، أرض الميعاد والدولة الصليبية، أمريكا في مواجهة العالم منذ عام 1776، ت: رضا هلال، ط1، دار الشروق، القاهرة، 2000، ص241.

وهو "أي الله" الذي أرشدني إليها"[6] من هنا فإن نشأة أمريكا كانت نتيجة اندفاعية دينية، بل إن مغامرة كولمبس لم تكن إلا مغامرة دينية، ذلك أن اكتشاف أمريكا قبل أي شيء آخر، كان نهاية إنجاز عظيم ونهاية للبحث الروحي العظيم، فهناك ما يشبه اليقين لدى الذين يتابعون المسار التاريخي للسلوك الأمريكي السياسي والدبلوماسي، أن كل الذين اعتمروا البيت الأبيض من الجمهوريين والديمقراطيين لم يفارقوا تلك اللغة التي لا ترى إلا الآخرين بوصفهم أغياراً لا سبيل لهم إلى نعمة الخلاص وأن استخدام القوة العسكرية من أجل الهيمنة ليس انحرافاً عن طبيعة الامريكيين الأصلية وإنما هي نفسها طبيعتهم التي جبلوا عليها[7].

فعلى مدى أكثر من أربعة قرون ظلت فكرة أمريكا تخطف روح الدين وتطوعه لأهدافها الإمبراطورية الثلاثة التي استعارتها من فكرة إسرائيل التاريخية وهي اجتياح أرض الغير واستبدال سكانها بسكان غرباء أو حمل من يعصي منهم على الموت، واستبدال ثقافتها وتاريخها بثقافة المحتلين الغرباء[8].

فهذه الأهداف الثلاثة كانت نتيجة للمكون الأيديولوجي الديني الذي تعكسه الروح الرأسمالية المدعاة، والتي تقول بأحقية إشراف أمريكا على صوغ العالم لمشيئتها وهي الروح الرأسمالية نفسها التي غالباً ما تتمظهر في التاريخ من خلال نزعتين مترابطتين: الأولى نزعة الشبق الإمبراطوري لإعادة صياغة العالم باعتباره قدر أمريكا المتجلي (Manifest Destiny) الذي رسمته العناية الإلهية ورعته، الثانية: النزوع إلى فكرة إسرائيل كمقدمة

---

6 –Christopher Columbus cited Paul Boyer, When time shall B no more: prophecy Belief in Modern America (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1992). P. 225.

7– بشير عبدالفتاح، القوة العسكرية وحسم الصراعات (الولايات المتحدة الأمريكية نموذجاً) سلسلة رؤى معاصرة، السنة الثانية، العدد السادس، المركز العربي للدراسات الإنسانية، القاهرة، 2006، ص28.

8– منير العكش، تلمود العم سام، الأساطير العبرية التي تأسست عليها أمريكا، ط1، رياض الريس، بيروت، 2004، ص11.

لنزول القدس السماوية – ولطالما كان الحلم الإمبراطوري ولا يزال يلهب حماسة المـؤمنين بفكرة إسرائيل الذين يعتبرون أنفسهم أحد – الشعوب الإمبريالية، والذين لم يعشقوا شيئاً فـي هذا العالم أكثر من التنبؤ بالدمار الماحق لممالك العالم[9].

وعلى ما بين (مايكل هاردت وأنطونيو ينغرى) في كتابهما إمبراطورية العولمة الجديـدة، فإن تحقيق فكرة السيادة والهيمنة الأمريكية اتخذ مسيرة طويلة تطورات عبر مراحل مختلفـة من تاريخ الولايات المتحدة[10].

ففي خلال الحقبة الرئاسية الأمريكية التي تلت حقبة (كيندي) لم تغادر جدلية الهيمنة على العالم وحمايته الرسالية المدعاة العقل الاستراتيجي الحاكم في الولايات المتحـدة، فقـد بـين الباحثان الاستراتيجيان الفرنسيان[11]، (جيرار شاليان (Gerard Chalian)، وأرنـو بلـين (Arnoud Blin) الخلفية التاريخية والثقافية التي تحمل الفكر السياسي الأمريكي على الجمع الدائم بين هاتين النزعتين المفارقتين (الهيمنة والرسالية) ثم يتساءلان عن السبب الذي جعـل إدارة (جورج دبليو بوش) تحرص وتقاتل بحزم للحيلولة دون ظهور قوة منافسة لهـا علـى وجه الأرض، وعن موضوعية البحث عن الدوافع المحركة لهذه الإدارة في ما ترفعـه مـن شعارات، وللإجابة يؤكدان أن الجذور التاريخية هي وحدها التي يمكـن أن تمـدنا بالمشـهد وخلفيته معاً، فتاريخ أمريكا منذ (توماس جيفرسون) وحتى (جورج دبليو بوش) عرف ظهور توجهين اثنين توزعت بينهما الإدارات، أحدهما مثالي حالم والآخر واقعي مكيافيللي شـرس ولكي نعبر عن الأمر بلغة فلسفية، نستطيع القول إن أحديهما تعود إلى الفيلسوف الإنجليـزي

9 –Robert Bellah, "Civil Religion in America: Daedal us, 96 (Winter 1967) P.30.

10– مايكل هاروت وأنطونيو نيغرى، الإمبراطورية – إمبراطورية العولمة الجديدة، ت: فاضل جتكر، مكتبة العبيكان، السعودية، 2002، ص862.

11 –Gerard Chliand, Arnaud Blin, American is back less Nouveaux casers, 2002, Paris, P77.

(توماس هوبز) القائل: "إن الإنسان ذئب لأخيه الإنسان"[12] في حين تعود الأخرى إلى (كانط) الفيلسوف الألماني المثالي (الترانسندنتالى) المتسامي العالمي، وأيضاً إلى (جان جاك روسو) الذين تحدثا عن إمكانية السلام الدائم والتعايش السلمي العالمي، فقد كانا ينظران إلى الإنسان كونه كائناً محكوماً بالأخلاق والنوايا الطيبة والطبيعة الخيرة وهذا على عكس (هوبز ومكيافيللي)، ومن هذا المنطلق فإن أمريكا الواعظ الإنجليزي (جيمي كارتر) تختلف سياسياً وموضوعياً عن أمريكا المحافظ اليميني المتطرف (رونالد ريغان) تماماً كما أن إدارة الداعية الديمقراطي الساعي إلى تحقيق رسالة أمريكا بإشاعة الحرية في العالم -(بيل كلينتون)- تختلف عن إدارة اليميني المحافظ وذو التوجه الإمبريالي (جورج دبليو بوش) المتربي في أحضان جماعة المحافظين الجدد، بكل مشروعيتها وأطروحاتها المتطرفة والكوسموبوليتية، والتي ترى اختزال تعريف القوة بزيادة التركيز على القوة العسكرية والتوسع باللجوء للضربات الاستباقية، وتبني تغيير فلسفة الأنظمة المارقة، بما يعينه ذلك من عدم احترام فكرة السيادة[13].

ويرى الباحثان أن تاريخ الولايات المتحدة كمشروع سياسي عرف مرحلتين رئيسيتين أحداهما أطلقها الآباء المؤسسون، وقدمت هذه الدولة الهائلة كمشروع (طوباى Utopian) من قبيل مدينة الشمس (لكامبنيلا) أو مدينة الله (لتوماس مور) ومشروعها الانكفاء على نفسها واستغلال مواردها الهائلة لتحقيق دولة الرفاه التي تجسد الفضيلة أخلاقياً، والعدالة سياسياً، والتي تتعاطى دائماً مع السياسة الخارجية من المفهوم المثالي الأخلاقي وأحياناً، النقوي الطهوري.

أما المرحلة الثانية فتبدأ منذ الحرب العالمية الثانية حين أصبحت أمريكا قوة عظمى، وبالتالي وجدت نفسها تخرج من حدودها السوسيو – تاريخية التي اعتادت عليها لتمارس الهيمنة على العالم. وأيضاً لتتبادل الأدوار مع أوروبا التي كانت خلال المرحلة السالفة الذكر، خصوصاً في القرن التاسع عشر تلعب دوراً إمبريالياً، وتتعاطى مع السياسة بالمفهوم

12- لوك، هيوم، روسو، العقد الاجتماعي، العالمية للنشر، مصر، ط1، د. ت. ص255.

13- بشير عبدالفتاح، مرجع سابق، ص32.

(الهوبزي و المكيافيللي) والتي جنحت منذ انتهاء الحرب وبضغط من موروثهـا الفاشـي – النازي إلى التعايش السلمي وإلى تغليب المفهوم المثالي للتعاطي مع السياسة عامة والخارجية خاصة[14].

وإذا كانت إيديولوجيا فتوحات أوروبا الاستعمارية في القرن التاسع عشر تحرص علـى تعميم (رسالة الرجل الأبيض) فإن العنوان الذي سيرفعه قياصرة البنتـاغون الآن للخـروج بالدور الأمريكي إلى الحد الأقصى من حلمه إلى واقعيته هو نشر النموذج الأمريكـي عبـر العالم وذلك تعبيراً عن إيمان راسخ لدى الأمريكيين عامة بما يعتبرونه رسالة قدرهم ترويجها وإشاعتها من عبر العالم هي (القدر البين للشعب الأمريكي) الذي يعني أن أمريكـا قبـل أن تكون دولة هي فكرة ورسالة عظيمة وحلم جميل حافل بالوعود[15].

وعندما وضعت الحرب الباردة[*] أوزارها التي ظلت على مدى نحو نصف قـرن تقيـد الطموحات، الجيو – استراتيجية للولايات المتحدة صار سهلاً إحداث تغيير راديكالي في آليات صنع تلك الطموحات فقد عبر ريتشارد نيكسون بقوله "اتجه العالم الحر إلى أمريكا لتقوده ضد التهديد الشيوعي بعد الحرب العالمية الثانية، والآن تتجه أنظار العالم كله إلى أمريكـا لكـي تخرجه من مشاكل ما بعد الحرب الباردة، ينظر معظم الناس إلى القرن العشرين كأنه قـرن الحروب والقهر والفقر، ولأول مرة في التاريخ تبدو الفرصة سانحة لكي نجعل القرن القـادم عامراً بالسلام والحرية والتقدم، ولا يوجد اليوم أي دولة خلاف أمريكا تستطيع تحقيـق كـل ذلك، وقد حانت الآن الفرصة الصادقة لتحقيق ذلك، ويجب علينا أن ننتهز هذه الفرصـة"[16]

14 -Gerd Chliand ,Ibid, P81.

15- حسن ولد المختار، أمريكا بين واقعية مكيافيللي ومثالية روسو، مجلة الاتحاد، عدد 25-4-2003، أبوظبي، الإمارات، ص20.

* لزيادة الاطلاع حول وضع أمريكا إبان الحرب الباردة، انظر: دكستر بركنس فلسفة السياسة الخارجية الأمريكية، ت: حسين عمر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص104-147. للمزيد راجع: M. Lynn – Jones & Steven Miller, eds, op. cit.

16- ريتشارد نيكسون، الفرصة السانحة، ت: أحمد صدقي مراد، د. ط، دار الهلال، د. ت، ص29.

فإذا كان (رونالد ريجان) قد أوصل النزاع مع الشيوعية إلى نهايته المدوية ممثلة بسقوطها، فإن (جورج بوش الأب) أكمل ما تبقى من أثارهما في الشرق الأوسط عبر حرب الخليج الأولى عام 1991.

ولكن الرئيس (بيل كلينتون)، الذي خلف بوش الأب اتخذ لنفسه منحنى آخر من دون أن يقطع من المنطق الإجمالي لمن سبقوه إلى الإدارة، فقد كان كلينتون أول رئيس أمريكي منذ أيام (فرانكلين روزفلت) يصوغ أفكاره حول القضايا العالمية من دون أن يضطر لمواجهة الاتحاد السوفيتي(17) وفي خطابه عن حال الأمة في شهر كانون 1999 استعاد كلينتون صدى الكلمات التاريخية التي أطلقها الملياردير والقطب الإعلامي الشهير (هنري لوس) في عام 1941 حين قال: "إن الأمريكيين فشلوا طوال العقود الأربعة الأولى من القرن العشرين في التنبه إلى مدى سيطرة بلدهم على مصير العالم وهذا ما جعل المسار التاريخي للبشرية يأخذ منعطفاً بائساً، ثم يضيف "إن أمريكا كمركز فعال للحلقات دائمة التوسع في حقل الأعمال أمريكا كمركز تدريب لخدام الجنس البشري المهرة، أمريكا الكريمة التي تؤمن مجدداً أن العطاء مبارك أكثر من الأخذ"(18).

وأمريكا كمحطة لتوليد المثل العليا في الحرية والعولمة – من المؤكد أنه من جميع هذه العناصر يمكن أن نكوّن رؤى عن القرن العشرين نستطيع أن نكرس أنفسنا لها بكل محبة ونشاط وحماس، وبعد ثمانية وخمسين عاماً نظر (كلينتون) إلى قصدية (لوس) نظرة المقتدي والمقلد، لاسيما لناحية وجوب أن يبسط الأمريكيون أيديهم للقرن الأمريكي، فقد ظهرت أطروحة لوس. كما لو إنها أطروحة مأثورة ينبغي الأخذ بها عن ظهر قلب، غير أن هذه الاستعادة التي أخضعت للتأويل الإيجابي من جانب (كلينتون)، أي بوصفها صيغة للتعاون بين الأمم سرعان ما تهافت وعادت إلى غائيتها الأولى كمادة أيديولوجية وسياسية وثقافية لأمركة

17 –Odom W. Russia`s Several sets as the table "International Affairs, 1998". P.779.

18 –Richard N. Roscrance. op. cit, P. 70.

العالم[19]، ومن ثم كانت عالمية أمريكا هذه المرة التي لم تعد مجرد شعار ينبغي إخراجه من القوة إلى الفعل، فالعالمية الأمريكية بعد انصرام الحرب الباردة غدت واقعاً موضوعياً وذاتياً بالنسبة لدولة كأمريكا راحت تتصرف حيال أي وضع في العالم بصفته وضعاً متصلاً بقــوة الأمن القومي الأمريكي قال (كلينتون) في خطابه الافتتاحي للرئاسة عام 1997: "استرشـــاداً بالرؤية القديمة لأرض الميعاد دعونا نوجه أبصارنا إلى أرض ميعاد جديدة"[20].

يقول عالم السياسية (وليام وولفورث): "إن الولايات المتحدة تبدو في المقدمة حتـــى الآن، ذلك أن منافسيها الحيويين يعتبرون أنه من الخطر بمكان التركيـــز علـــى عـــداوة أمريكـــا، وباستطاعة حلفاء أمريكا الشعور بالثقة دائماً لأنه يمكنهم أن يستمروا بالاعتماد على أمريكـــا لحمايتهم"[21].

وهنا نلاحظ وكأنه هناك ممارسة مركبة للهيمنة الأمريكية على العالم هذه الممارسة تجمع بين السلوك الإمبريالي التقليدي (الدخول العسكري المباشر وممارســـة الاحـــتلال وتســـويغ الحروب بذريعة الأمن الدولي) وبين السلوك الإمبراطوري الذي لا يرى أي شأن في العـــالم مهما كانت مؤثراته الأمنية والاقتصادية والثقافية إلا شأناً أمريكياً داخلياً، ذلـــك كـــان شـــأن الإمبراطوريات القديمة، فهي إمبراطوريات جامعة تعيد تركيب العالم كما تريد[22].

ينقل الفيلسوف الألماني المعاصر (يورغن هابرماس) عن المؤرخ (إريك هوبز باوم) قوله عن القرن العشرين بأنه قرن أمريكي بامتياز[23] ثم يعلق على هذا في شيء مـــن الســـخرية

---

19 −Blanks. S. Drift and Mastery "European security autumn 1997". P. 8.

20− مايكل كوربت، جوليا ميتشل كوربت، الدين والسياسة في الولايات المتحدة، ج1، ت: عصام فايز، ناهد وصفي، ط1، مكتبة الشروق، القاهرة، 2001، ص50.

21 −Wolfforth, "The Stability of a Unipolar World, P. 77".

22 −America`s World "The Economic, 23 October, 1999, P11".

23− عصام عبدالله، رهان الحداثة وما بعد الحداثة، الدار المصرية السعودية، القاهرة، 2006، ص58 − 62.

المرة بقوله إنه يحق للمحافظين الجدد الذين حكموا أمريكا في مستهل القرن الحادي والعشرين، أن ينظروا إلى أنفسهم بوصفهم منتصرين، وأن يتخذوا مثالاً لنظام عالمي جرت إقامته على الانتصارات المحققة التي أحرزتها الولايات المتحدة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية – في أوروبا وفي جنوب شرق أسيا إثر هزيمتي ألمانيا واليابان، وفي أوروبا الشرقية إثر انهيار الاتحاد السوفيتي(24) وقد جرى تأويل مرحلة ما قبل التاريخ هذه – بحسب اصطلاح (فرانسيس فوكاياما) على ضوء النزعة الليبرالية فمن شأن ذلك أن يجنبنا الخوض في مماحكة حول الأهداف المعيارية: فماذا يمكن بالفعل أن يحظى به الناس أفضل من تعاظم السوق الحرة على المستوى العالمي وتعاظم عدد الدول الليبرالية(25).

لقد كانت أيديولوجيا القوة التي تضفي الفوضى على القوة الأمريكية، أيديولوجيا فعالة جداً، حتى أن الكثيرين من الأمريكيين ليس لديهم فكرة عن الطبيعة الإمبريالية للسياسة الخارجية للولايات المتحدة الآن، أو في المائتي عام الأخيرة، فقد حجبت عنهم وسائل الإعلام هذه الحقيقة، فوسائل الإعلام هذه كانت في الغالب الأعم مستعبدة تماماً لنخبة المؤسسات التي تحكم الإمبراطورية(26) حتى أن أحد الجنرالات بالجيش الأمريكي ذكر أنه "خلال القرن العشرين ستلعب الولايات المتحدة دوراً لا يمكن فهمه إلا بوصفه شكلاً مختلفاً من أشكال الإمبراطورية"(27).

وبانتهاء الحرب الباردة أصبح الحديث عن الإمبراطورية الأمريكية جزءاً من المناقشات اليومية في أمريكا عن سياستها الخارجية، فكما يقول المؤرخ (أرثر شبنجلر Schpengler)،

24- يورغن هابرماس، التمثال والثوريون، جريدة لوموند، عدد 3، مايو، باريس 2003، ص15.

25- Francis Fukuyama, "The End of History" The National Interest, Summer 1989, P.40.

26- مايكل نورنكوث، الملاك يوجه العاصفة، (أسفار الرؤيا والامبراطورية الأمريكية)، ت: عبدالرحمن الشيخ، ط 1، مكتبة الشروق الدولية، 2006، ص104.

27- Andrew J. Bacevich, The American Empire: The Realities and consequences of U.S Diplomacy (Harvard University Press, 2002), P. 30.

"من ذا الذي يمكنه أن يشكك في وجود إمبراطورية أمريكية؟ إنها إمبراطورية عامة، حقيقة إنها ليست دولة استعمارية من ناحية الشكل الحكومي لكنها مزودة وبكفاءة عالية بكل الأدوات الاستعمارية: جيوش وسفن وطائرات وقواعد وحكام إداريون واسعوا العلاقات وعملاء، كل هذا منتشر في الكوكب سيء الحظ[28]، قد كان الهدف الأساسي للإمبراطورية الأمريكية هو "فتح العالم للمشروع الأمريكي، لأنه بدون عالم مفتوح لا يمكن أن يكون الاقتصاد السياسي في النظام الأمريكي فاعلاً ومؤثراً، خاصة وأن هذا النظام قائم على منطق التوسع غير الظاهر"[29].

فالنظرة القاضية بأن أمريكا تحقق أهدافها بشكل أفضل في عالم شكلته القوة العسكرية الأمريكية، واتبعته للاستثمار الاقتصادي الأمريكي – هذه النظرة أصبحت محورية أكثر من أي وقت مضى في السياسة الخارجية الأمريكية، فبعد فشل أمريكا المدوي في جنوب شرق آسيا في القيام بدور الأمة المخلصة Redeemer nation دخلت واقعية جديدة في مداولات السياسة الخارجية الأمريكية في عقود تالية، فالتحليلات تذهب إلى أن أمريكا قد انجرفت إلى الحرب الفيتنامية في الأساس بسبب مصالحها في وقف الشيوعية أكثر من انجرافها بسبب تنمية مصالحها الاقتصادية[30].

هكذا إذ أبقى التعريف الفضفاض للسياسة الأمريكية تجاه العالم الخارجي بقى على ما كان عليه في العقود الماضية، فالولايات المتحدة لن ترفض إطلاقاً قانون (الأول بين الأكفاء) في عالم متعدد الأقطاب، ويؤكد (دافيد كاليلو) هذا الوضع بقوله: "شئتم أم أبيتم فسوف تواصل الولايات المتحدة الأمريكية أداء دورها باعتبارها زعيما في أوروبا وفي آسيا"[31].

28- Arthur M. Schpengler J, The Cycles of American History cited Bacevich, American Empire, P. 31.

29- Andrew. J. Bacevich. Op. cit. P. 31, 32.

30- مايكل نورثكوت، مرجع سابق، ص104.

31- أناتولى أوتكيب، الاستراتيجية الأمريكية للقرن الواحد والعشرين، ت: رجب بودبوس، ط1، أكاديمية الفكر الجماهيري، طرابلس، 2004، ص22.

كذلك السيد (ج. مورافتنيك) يرى أن أوروبا لم تستطع تحمل عبء الزعامة الدولية، كما أنها لا تستطيع حتى أن توفر الأمن لنفسها، حيث أصبحت "ساحة لاندلاع حربين عالميتين، وأمريكا بالطبع تسعى لتحقيق مصالحها الخاصة وليس هناك مجال للحديث عن المثالية هنا إلا أن أمريكا على النقيض من أوروبا استطاعت أن تنشئ تواصلا وعلاقة بين تحقيق مصالحها الخاصة والفائدة العامة، وهذا هو أساس كل زعامة"[32].

ومن هنا فإن هيمنة الولايات المتحدة كإمبراطورية تحكم العالم، ستظل فترة طويلة للأسباب التالية:

1- لا توجد شواهد قريبة تدل على تدهور في الدور الأمريكي، والتدمر من موضوع انهيار أمريكا لا يقوم على أسس واقعية، وهذا ما أثبته ثلاثة من المختصين (ج. ناي وجورج. ناي وش، كراوتهامر) حيث أبدوا معارضة شديدة لكل التكهنات بانهيار أمريكا، حيث خصص الأول كتابا كاملاً يدحض فيه فكرة الانهيار، ويؤكد الثاني أن الولايات المتحدة قدر لها أن تتزعم العالم على الدوام في حين لا يرى الثالث أي بديل للهيمنة الأمريكية في القرن الحادي والعشرين[33].

2- إذا قررت الولايات المتحدة الانعزال عن العالم، فإن وسائل الاتصال الحديثة من شأنها إعاقة هذا التوجه ذلك إن المعلوماتية تمثل العملة الجديدة في منظومة العلاقات الدولية، والولايات المتحدة تحتل مكانة متقدمة في هذا المجال مقارنة بغيرها من الدول الكبرى، ومن خلال منظومة المعلومات المتطورة تستطيع الولايات المتحدة مضاعفة فعاليتها العسكرية، إن الهيمنة في مجال المعلومات ستجعل القرن الجديد أمريكيا[34].

3- إن العالم في حاجة ماسة إلى زعامة: فهناك قطاع كبير من الأمريكيين يؤيد وجهة النظر القائلة بأن قدر الولايات المتحدة أن تحتل الزعامة في العقود الأولى على الأقل من القرن

32- Muravchik. J. the Imperative of American Leadership, A Challenge Neoisolationism Washington, 1996, P. 70.

33- أناتولي أوتكيب، مرجع سابق، ص254.

34- Nye, J, Owens W. America`s Information Edge Foreign Affairs, 1996. P.35.

الحادي والعشرين، وهذه الزعامة لا تتعلق فقط بالموارد والثروات بل وبالقدرة على رؤية المستقبل فالتاريخ الأمريكي يفرغ من معناه إذا لم يكن تاريخ إمبراطورية في طور البناء(35).

4- مع دخول أمريكا حقبة (جورج دبليو بوش) أخذت تتبلور الصورة الإمبراطورية ذات الطابع الرسالي التوتاليتاري، فالأمر لم يعد بالنسبة للفريق الحاكم مقصوراً على التبشير بدولة عالمية بل بات كل شأن من شئون العالم يخصها، ويتصل اتصالا عفوياً بأمنها ومصالحها الجيو – استراتيجية.

ففي نهاية الحرب الباردة انبرى عدد من الاستراتيجيين إلى الجزم بأنه يوجد اليوم نظام عالمي، وتقوم الولايات المتحدة في هذا النظام بدور لا ينحصر في الممثل الأكبر، بل يمتد إلى دور المدبر، فبعد محو الاتحاد السوفيتي باعتباره خصم لها لم تعد وحدة أوروبا تعود عليهم بأية منفعة، بل بالعكس فإذا طاب لهم أن ينظروها بعين الرحمة فإنهم لا يستطيعون التسامح بأن تصبح قوة عظيمة جديدة يتقاسمون معها السلطة العالمية(36).

بل أكثر من هذا، فقد تجاوزت الثقافة التوتاليتارية الأمريكية الجديدة "بمعناها الإمبراطوري الممتد فوق السيادات القومية والوطنية" الأخلاق السياسية التقليدية، وهي تصرفت تنظيراً وتطبيقاً، على النحو الذي يرى إلى تبرير سياسات التمدد والنفوذ بوصفه أمرا لا طائل منه. صرح (هنري كيسنجر) فقال: "ما دام جيل ما بعد الحرب الباردة من القادة الوطنيين يشعر بالحرج عند التصريح بمبدأ غير اعتذاري عن مصالح قومية مستنيرة، فإنه سيحقق شللا تراكميا وليس ارتقاء أخلاقياً"(37).

35- مايكل ورثكوت، مرجع سابق، ص37.

36- جون إكنبرى، طموح أمريكا الإمبريالي، ت: غسان رملاوي، مجلة شئون الأوسط، العدد 110، دمشق، 2003، ص244.

37- Henry A. Kissinger, American Foreign Policy, (New York: Toronto printed, 1974), P.40.

وهنا أيضاً يقول (فرنسيس فوكاياما): كلاما دالا على هذه النقطة: "إن البلد الذي يجعل من حقوق الإنسان عنصراً أساسياً في سياسته الخارجية يميل إلى الوعظ الأخلاقي عديم الجدوى في أحسن الأحوال، وإلى استخدام العنف المفرط بحثاً عن أهداف أخلاقية في أسوأ الأحوال"[38].

أيضاً هناك فكرة أخرى تعبر عن نزعة الهيمنة الانفرادية لأمريكا لدى اليمين الأمريكي المحافظ وهي الاعتقاد بأن تصدير النموذج الأمريكي في الحكم الذي يقوم على لغة عالمية وصناعة ثقافة ذات تأثير كوني حيث يمكنها جهازها العسكري من التدخل في جميع أنحاء العالم[39].

ومن ثم فقد تبنى اليمين الأمريكي المتطرف في ظل قيادة (جورج دبليو بوش) وتوجيهه لإدارة الولايات المتحدة مفهوما تقليدياً عسكرياً للأمن يرفض من حيث المبدأ أي دور للمنظمات غير الحكومية سواء الأمريكية أو الدولية في القضايا والأزمات العالمية ويرفض معه التعاون مع الدول الأخرى من منطلق التكامل الوظيفي الاقتصادي، بل يرى أن السياسة الأمريكية لا يجب أن تقع في الخطأ الذي ارتكبته دول أوربا الكبرى مثل بريطانيا عندما أتبعت سياسة الاسترضاء (Appeasement) مع هتلر قبل الحرب العالمية الثانية[40].

وهذا ما جعل إدارة (بوش الابن) تتخلى عن سياسة الاحتواء التي شكلت أحد الأعمدة الرئيسية للسياسة الأمريكية تجاه الكتلة الشرقية طوال زمن الحرب الباردة بصفة نهائية مع وقوع هجمات 11 سبتمبر 2001 كما تخلت عن سياسة الاحتواء التي اتبعتها إدارتا (بوش الاب وكلينتون) تجاه العراق بل تخلت عنها في مواجهة الشرق الأوسط ككل.

---

38 -Francis Fukuyama, The End of History, P. 50.

39- سامي ناير، الإمبراطورية في مواجهة التنوع، ت: علي المخبلي، منشورات اللجنة الشعبية للثقافة (سابقاً)، طرابلس، 2006، ص61.

40- أحمد ثابت، خليل العناني، الحرب والنزعة الإمبراطورية والإغارة على العراق، ط5، دار الشروق، القاهرة، 2005، ص23.

هكذا بدأت حقيقة العقل السياسي الأمريكي الذي يقوم على وجود النقيض، بحيث إن لم يتوفر فلابد من اختراعه (أي النقيض) أي أن هذا العقل يحقق حضوره وفاعليته في مواجهة آخر عدو يجسد تحديا لابد من الاستجابة له وهذه الاستجابة هي التي تلخص مجمل السياسات الأمريكية ولاسيما الخارجية منها[41].

وختاماً نقول بناء على ما سبق إن الحلم الأمريكي بقيادة العالم لم تتوفر له حظوظ النجاح منذ الحرب العالمية الثانية مثل ما توفرت له بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، فقد استغلت الولايات المتحدة الأمريكية قوتها العسكرية لتبسط نفوذها على العالم وتتدخل في شؤون كل الدول مستعملة منظمة الأمم المتحدة كغطاء لإضفاء شرعية شكلية على كل تصرفاتها، ثم جاءت أحداث 11 من سبتمبر 2001 لتدعم هذا التوجه، فبعد هذه الأحداث عمدت الولايات المتحدة إلى تكوين تحالف دولي لممارسة الإرهاب، ثم أجبرت كل بلدان العالم على تدعيم هذا التحالف، لكن انحيازها الكامل للكيان الصهيوني وتأييدها للجرائم التي يقترفها في حق الشعب الفلسطيني لم يمكن هذا التحالف من إحلال الأمن والسلم والاستقرار في العالم بل زاد في الطين بلة، وأصبح العنف والقتل والتخريب هو المشهد الذي يلازم حياة الناس في كل مكان ويخلق لديهم إحساساً بالخوف وبعدم الاطمئنان ومن ثم فإن الولايات المتحدة هي البلد الوحيد القادر على أخذ القيادة للتصدي للمشاكل التي تستدعى عملاً جماعياً[42].

41- سعد سلوم، إمبراطورية العقل الأمريكي (الفوضى الشاملة والسلام الدائم)، ط1، مؤسسة مسارات، بغداد، 2006، ص20.

42- جورج سوروس، فقاعة الهيمنة الأمريكية، ت: ناظم هاشم نعمة، ط1، الدار الأكاديمية للطباعة، طرابلس، 2010، ص48.

الطابع العدواني والخطير للتحالف الاستراتيجي بين الولايات المتحدة ودولة إسرائيل، فليس أمام الولايات المتحدة، إذا أرادت أن تتفادى هذا المصير، إلا أن تعيد النظر في سلوكها الدولي، وأن تقبل أن تكون أمة بين كل الأمم وليس فوق الأمم[(43)].

فهل يصدق الرأي القائل "أنها ذات بلا روح، أنها فلسفة أوهام الإنسان الذي يقتل الإنسان"[(44)] ذلك إن قوة الولايات المتحدة الأمريكية ليست قوة عسكرية مجردة، وليست حضارة يمكن انتزاعها، والعقل الإمبراطوري الأمريكي ليس عقل فلاسفة حالمين، أو عسكر طامحين مغامرين، بل هو تجسيد وانعكاس لمرامي استراتيجية تتبناها طبقة رأسمالية قوية من خلال شركات عملاقة عابرة للقارات كان شعارها منذ عقود "الحرب الحرب إلى أن يتحول العالم إلى شركة واحدة كبرى"[(45)].

ثانياً: الدافع العقدي.

ونقصد من ذلك العقيدة الدينية المتطرفة التي دفعت إدارة البيت الأبيض المتطرفة، فالجميع يعترف أن هناك توافقاً بروتستانتياً صهيونياً عقدياً، فهناك وحدة بينهم في مختلف الأهداف وفي المصير. فالأفكار والمعتقدات الدينية التي جاء بها الآباء المؤسسون للولايات المتحدة قامت بدورٍ كبيرٍ في إرساء الأسس اللازمة لبناء نظام سياسي – اجتماعي – ديني يتوافق مع عقيدتهم المنحدرة من البروتستانتية[(46)] التي هي خليط منسوج استقاه القساوسة من العهد القديم (التوراة) المحرفة والعهد الجديد (الإنجيل) المحرف، فنتج عن هذا النسيج المحرف نشر عقيدة عرفها التاريخ وسيطر على عقول هؤلاء جميعاً الإعداد لحرب

43- إيمانويل تود، بعد الإمبراطورية، دراسة في تفسخ النظام الأمريكي، ت: رجب بودبوس، ط1، أكاديمية الفكر الجماهيري، طرابلس، 2004، ص29.

44- إدريس مقبول، المخفي والمعلن في الخطاب الأمريكي، ط1، منشورات الزمن، الرباط، 2007، ص30.

45- سعد سلوم، مرجع سابق، ص18.

46- عبدالقادر محمد فهمي، الفكر السياسي والاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية، ط1، دار الشروق، الأردن، 2009، ص50.

(هرمجدون)(*) المقدسة، ولن تحصل هذه الحرب حتى يتولى البروتستانت شن حرب صليبية مقدسة كمقدمة لهذه الحرب(47) وهذا يدل على أن (بوش) عندما قال بعد ضـربات سـبتمبر 2001، أنه سيخوض حرباً صليبية طويلة الأجل يدل ذلك أنه كان يعي ما يقول وليست زلـة لسان كما حاول البعض التعذير له فلو كان ما قاله الرئيسي الأمريكـي زلـة لسـان بشـأن الحروب الصليبية التي قدم ليخوضها ما كان ليتكرر مرات كثيرة، فقد عاد الرئيس الأمريكي وصرح بعد سنتين من بدء الحرب الصليبية الجديدة على العالم الإسـلامي فـي جمـع مـن الأمريكيين واليهود، ليقول: "لم يكن لي الشرف في المساهمة في الحـروب الصـليبية فـي القرون الوسطى لكنني سعيد جداً بأنني منحت شرف قيادة الحرب الصليبية الجديدة على العالم الإسلامي"(48) ومن ثم بدأ أنه مصر على هذه الحرب التي ستمهد لحربهم المقدسة، فقد كـان قيام الحرب المقدسة أو الحرب الصليبية، هو أحد المظاهر المهمة للموقـف فـي الولايـات المتحدة تجاه الحرب ومصطلح الحرب المقدسة كما هو مستخدم هنا، يعنى حرب مقدسة يشنها الصالحون نيابة عن الرب ضد الكفار والمهرطقين سياسياً أو دينياً(49).

ولقطع الطريق على من ظن أنه لم يكن يعني ما يقول فقد قال –أي بوش- بعـدها بأيـام عندما كان يخاطب الجنود الكنديين في معرض كلامه لهم: "قفوا إلى جانبنا في هـذه الحملـة

* معركة هرمجدون تمثل مكاناً متميزاً لدى الصهيونيين المسيحيين الإنجيليين أو الأصوليين، في المرحلة الثانية التي تسبق المجيء الثاني للمسيح وهي ضرورة لتسبق قيام مملكة المسيح الألفية. لزيادة الاطلاع انظر: عبد العزيز محمد محمد، معركة هرمجدون ووعود الكتاب المقدّس، ط1، شعبة التثقيف والإعلام، طرابلس، 1995، ص 37 وما بعدها.

47- Robert Bellah, Civil Religion in America, Daedalus, 96, 1 (Winter 1967), P. 18.

48- عدنان سليمان الروسان، صلبان وعمائم، دار الكتاب الثقافي، الأردن، 2007، ص41.

49- مايكل كوريت، جوليا ميتشل كوريت، ج1، مرجع سابق، ص121.

الصليبية المهمة"[50] فأمريكا تحمل لواء رسالة عالمية تفرض عليها الخروج من أسر قيود الحتمية الجغرافية للمضي قدماً إلى آفاق أرحب بهدف التمدد والتوسع على الصعيد العالمي.

علق أحدهم على عبارات (بوش) بقوله "يبدو أن الرئيس بوش يعتقد حقيقة أنه يقود حملة صليبية فقد عاد يستعمل العبارة قبل أيام رغم أنه حذر من ذلك، وحتى لا نذهب بعيداً عن حرب العراق لابد أن نبين على أن العقيدة التي دفعتهم لإعلان الحرب الصليبية وشن الهجوم على أفغانستان هي نفسها التي دفعتهم لشن الحرب على العراق، ولو حاولوا الكذب بأنها ليست كذلك، فالكل يشمئز من العبارات الصليبية التي يستخدمها قادة الشر في البيت الأبيض، حتى بني جنسهم ودينهم يستنكرون ذلك فقد اتهم الرئيس (بوش) بالاستناد إلى منطلقات إنجيلية متطرفة في خطاباته المحرضة على العدوان ضد العراق، وادعاءات (بوش) بوجود دوافع إلهية حثته على قيادة هذه الحرب، يظهر وقوعه أسير رؤية أحادية مبنية على ضلال مبين"[51].

"إنه حظى باختيار الله له لتوجيه قوات أمريكا العسكرية لتكون أداة إلهية مكرسة لجلب الحرية والديمقراطية لأمم العالم، وللنضال ضد أعداء أمريكا، ممن يملكون أسلحة الدمار الشامل –وإجبارهم على تقبل هاتين القيمتين– الحرية والديمقراطية ووضعهما موضع التطبيق"[52].

هكذا رأى النصارى المتطرفون عقيدة بوش الضالة والتي دفعته إلى خوض هذه الحروب، ولن تكون حرب العراق الأخيرة فلها ما بعدها، يقول: (كولن بأول) في الكونجرس الأمريكي

50- يوسف بن صالح العييرى، سلسلة الحرب الصليبية على العراق، د. ن، د.ت، ص30. وأيضاً انظر: جميس كارول. ج1، مرجع سابق، ص10 – 18.

51- جان كلود موريس، (لو كررت ذلك على مسامعي فلن أصدقه). نقلاً عن الموقع: www.weareaeab,ahlamontada.net.

52 –Bob Woodward, The War Within Secret White House History 2006-2008, New York, London, 2008. P45.

"الحرب على العراق ليست النهاية بل ستعيد رسم خارطة الشرق الأوسط بما يضمن المصالح الأمريكية"، ويقول محلل سياسي "أمريكا لا تريد لأحد أن ينافسها وأن كان أوروبا"[53].

ويلخص الحضور العقدي في الحروب لدى الأمريكان ما يقوله (مايكل كوريت وزوجته جوليا ميشتل كوريت) في كتاب ألفاه بعنوان "الدين والسياسة في الولايات المتحدة"[54] من جزئين حيث جاء في جزئه الأول: "توجد الجذور الدينية للمواقف الأمريكية تجاه الحرب والسلام في الكتب المقدسة المسيحية واليهودية، وقد أدت هذه الكتب إلى ظهور ثلاث رؤى للحرب، الحرب المقدسة والعادلة والسلامية، حيث إن المسيحية كان لها السيادة في تشكيل المواقف في الولايات المتحدة، فمواقفنا الثقافية تجاه الحرب يمكن تلخيصها على النحو التالي: إلى أن جاء حكم قسطنطين، ظلت السلامية هي الموقف السائد للمسيحية[55].

ما ذكرناه آنفاً هو أحد الوجوه العقدية التي دفعت الصليبيين لشن الحرب، وقد عبرت (كوندوليزا رايس) في صحيفة (الفايننشال تايمز البريطانية) عن ذلك عندما ذكرت "أن الولايات المتحدة تريد أن تكون قوة محررة تكرس نفسها لإحلال الديمقراطية ومسيرة الحرية في العالم الإسلامي" وقالت أيضاً "إن النضال من أجل ما وصفته بالقيم الليبرالية الأمريكية يجب ألا يتوقف عند حدود الإسلام" وقالت "هناك عناصر إصلاحية في العالم الإسلامي نريد دعمها"[56]، ومعنى ذلك لابد من فرض القيم الصليبية والتقديم لهذه المرحلة بعناصر تؤهل الإسلام الأمريكي، ويؤكد هذا المعنى تصريح نائب وزير الدفاع الأمريكي السابق (بول وولفوفتير) لصحيفة (واشنطن تايمز) حيث قال "إن من أكثر الدول التي يمكن أن تكون أمثلة للدولة الإسلامية الحرة الديمقراطية هي: تركيا، إندونيسيا، والمغرب" وقال: نروج لذلك النوع

53- عدنان نجيب أبو سرحان، الحرب الأنجلو أمريكية العدوانية على العراق، ط1، دار رسلان للطباعة والنشر، دمشق، 2007، ص110.

54- يوسف بن صالح العبيرى، مرجع سابق، ص31.

55- مايكل كوريت، جوليا كوريت، ج1، مرجع سابق، ص121.

56- Bob Woodward, The War Within Secret White House History 2006-2008,Ibid, P20.

من النجاح كحل للإرهاب على المدى البعيد، أما على القريب فمن المهم اعتقال وأسر وقتل الإرهابيين"(57).

وهكذا نستطيع القول، من خلال تلك التصريحات، بأن مسخ الإسلام هو أحد الأهداف العقدية لهذه الحملة الصليبية، فالولايات المتحدة الأمريكية بارعة في صناعة الأعداء الذين ليسوا حصراً مسلمين فقط(58).

الخاتمة:

هكذا رأينا إذن فلسفة الخطاب الأمريكي المبينة على فلسفة الولاء أولاً ثم الأمر والنهي ثانياً، وعلى ما تريده أمريكا بغض النظر عن أي اعتبار، ولكن لاحظنا أن ما يوقف الولايات المتحدة عند حدودها أحياناً، ليس هو القانون الدولي أو الاحترام المتبادل أو الاتفاقات والمعاهدات الدولية، بل عدم قدرتها على تخطى تلك الحدود حينما يتعلق الأمر بدول ما زالت تملك رصيداً من المؤهلات العسكرية والمصلحية يستطيع أن يلجم الولايات المتحدة على العدوان عليها، فالعلاقات الدولية قائمة الآن على مبدأ القوة فقط، ومن هنا فإن الجميع يركضون في سباق محموم الدول الصغيرة، والدول الكبيرة للحصول على السلاح القادر على ردع الولايات المتحدة عن مهاجمتها.

فأمريكا تعيش لحظات من أحرج لحظات حياتها السياسية، فهي ليست منهزمة بعد، ولكنها ليست منتصرة، وأمريكا ليست معزولة في العالم، ولكنها ليست مرحباً بها في أي مكان أو أي دولة، وهي تعيش حالة من الترقب القاتل وتناور وتهرب دائماً إلى الأمام، لأن الهروب إلى الأمام هو السبيل الوحيد الذي تركه لها خصومها، وهي ليست قادرة على حسم أي أمر من الأمور الرئيسية التي يمكن أن تفضي إلى استقرار عالمي حقيقي، وهي غير قادرة على قيادة العالم، كما أنها ليست قادرة على السيطرة عليه، وهي تعيش حالة من الهلامية التي لا تجعل منها دولة عظمى، ولا تعطيها الفرصة لتكون القائد الذي يريده الجميع.

57- Ibid, P 29.

58- رجب بودبوس، الحضارات والضد حضارة، ط1، أكاديمية الفكر الجماهيري، طرابلس، 2006، ص47.

المصــادر والمراجـع

أولاً: المراجع العربية والمترجمة إليها:

1. أحمد ثابت، خليل العناني، الحرب والنزعة الإمبراطورية والإغارة على العراق، ط5، دار الشروق، القاهرة، 2005.
2. إدريس مقبول، المخفي والمعلن في الخطاب الأمريكي، ط1، منشورات الزمن، الرباط، 2007.
3. أناتولى أوتكيب، الاستراتيجية الامريكية للقرن الواحد والعشرين، ت: رجب أبودبوس، ط1، أكاديمية الفكر الجماهيري، طرابلس.
4. إيمانويل تود، بعد الإمبراطورية، دراسة في تفسخ النظام الأمريكي، ت: رجب أبودبوس، ط1، أكاديمية الفكر الجماهيري، طرابلس، 2004.
5. بشير عبدالفتاح، القوة العسكرية وحسم الصراعات (الولايات المتحدة الأمريكية نموذجاً) سلسلة رؤي معاصرة، السنة الثانية، العدد السادس، المركز العربي للدراسات الإنسانية، القاهرة، 2006.
6. جان كلود موريس، (لو كررت ذلك على مسامعي فلن أصدقه). نقلاً عن الموقع: www.weareaeab.ahlamontada.net
7. جورج سوروس، فقاعة الهيمنة الأمريكية، ت: ناظم هاشم نعمة، ط1، الدار الأكاديمية للطباعة، طرابلس، 2010.
8. جون إكنبرى، طموح أمريكا الإمبريالى، ت: غسان رملاوى، مجلة شئون الأوسط، العدد 110، دمشق، 2003.
9. حسن ولد المختار، أمريكا بين واقعية مكيافيللي ومثالية روسو، مجلة الاتحاد، عدد 25-4-2003، أبوظبي، الإمارات.
10. رجب بودبوس، الحضارات والضد حضارة، ط1، أكاديمية الفكر الجماهيري، طرابلس، 2006،
11. ريتشارد نيكسون، الفرصة السانحة، ت: أحمد صدقي مراد، دار الهلال، د. ت.
12. سامي ناير، الإمبراطورية في مواجهة التنوع، ت: علي المخبلي، منشورات اللجنة الشعبية للثقافة، طرابلس، 2006.
13. سعد سلوم، إمبراطورية العقل الأمريكي (الفوضى الشاملة والسلام الدائم)، ط1، مؤسسة مسارات، بغداد، 2006.

14. عبدالقادر محمد فهمي، الفكر السياسي والاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية، ط1، دار الشروق، الأردن، 2009.
15. عصام عبدالله، رهان الحداثة وما بعد الحداثة، الدار المصرية السعودية، القاهرة، 2006.
16. عدنان سليمان الروسان، صلبان وعمائم، دار الكتاب الثقافي، الأردن، 2007.
17. عدنان نجيب أبو سرحان، الحرب الأنجلو أمريكية العدوانية على العراق، ط1، دار رسلان للطباعة والنشر، دمشق، 2007.
18. فريد زكريا، من الثروة إلى القوة، الجذور الفريدة للدور الأمريكي العالمي، ت: رضا خلفة، ط1، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1999.
19. لوك، هيوم، روسو، العقد الاجتماعي، العالمية للنشر، مصر، ط1، د. ت.
20. مايكل كوربت، جوليا ميتشل كوربت، الدين والسياسة في الولايات المتحدة، ج1، ت: عصام فايز، ناهد وصفي، ط1، مكتبة الشروق، القاهرة، 2001.
21. مايكل نورنكوث، الملاك يوجه العاصفة، (أسفار الرؤيا والامبراطورية الأمريكية)، ت: عبدالرحمن الشيخ، ط 1، مكتبة الشروق الدولية، 2006.
22. مايكل هاروت وأنطونيو نيغرى، الإمبراطورية – إمبراطورية العولمة الجديدة، ت: فاضل جتكر، مكتبة العبيكان، السعودية، 2002.
23. منير العكش، تلمود العم سام، الأساطير العبرية التي تأسست عليها أمريكا، ط1، رياض الريس، بيروت، 2004.
24. والترأ. مدوجال، أرض الميعاد والدولة الصليبية، أمريكا في مواجهة العالم منذ عام 1776، ت:رضا هلال، ط1، دار الشروق، القاهرة، 2000.
25. يورغن هابرماس، التمثال والثوريون، جريدة لوموند، عدد 3، مايو، باريس 2003.
26. يوسف بن صالح العييرى، سلسلة الحرب الصليبية على العراق، د. ن، د. ت.

ثانياً: المراجع الأجنبية.

1. Albert J. Beveridge "for the garter Republic not for Imperialism: An address before the Union League Club of Philadelphia, February, 5, 1899, Excepted is Hudson, Nationalisms and Religion. P.P. 117.118".
2. America`s World "The Economic, 23 October, 1999.
3. Andrew J. Bacevich, The American Empire: The Realities and consequences of U.S Diplomacy (Harvard University Press, 2002).

4. Arthur M. Schpengler J, The Cycles of American History cited Bacevich, American Empire.
5. Blanks. S. Drift and Mastery "European security autumn 1997".
6. Bob Woodward, The War Within Secret White House History 2006-2008, New York, London, 2008.
7. Christopher Columbus cited Paul Boyer, When time shall B no more: prophecy Belief in Modern America (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1992).
8. Francis Fukuyama, "The End of History" The National Interest, Summer 1989.
9. Gerard Chliand, Arnaud Blin, American is back less Nouveaux casers, 2002, Paris.
10. Henry A. Kissinger, American Foreign Policy, (New York: Toronto printed, 1974).
11. Kerseth Waltez, Globalization and American Power, The National Interest (SPring).
12. Muravchik. J. the Imperative of American Leadership, A Challenge Neoisolationism Washington, 1996.
13. Nye, J, Owens W. America`s Information Edge Foreign Affairs, 1996.
14. Odom W. Russia`s Several sets as the table "International Affairs, 1998".
15. Richard. N. Rosecasce, The Rise of the Trading State, New York, Basis Books 1986.
16. Robert Bellah, Civil Religion in America, Daedalus, 96, 1 (Winter 1967).
17. Wolfforth, "The Stability of a Unipolar World.